الاحتمال كقولهم كَذَبك كذا وعنك في الارض وعبدٌ مُسبَع وخآءٍ بكما وخآءٍ بكم الى ما اشبه ذلك وليس فوت مثل هذا مما يُعَدّ نقصاً في اللغة ولا هذه الالفاظ واشباهها مما يدخل في دعوى أولئك القائلين . واما ما سوى ذلك من الالفاظ التي حرصوا على جمعها وتدوينها فلا شك انهم لم يهملوا شيئاً من اصول الموادّ التي عليها المعوَّل في السماع وان وُجِد ما سهوا عن ذكرهِ فهو في الغالب من الالفاظ التي يرجع حكمها الى القياس . وقد ذكرنا في غير هذا الموضع اننا عثرنا في القاموس على نحو ست مئة لفظة لم تُذكَر في مظانّها واكثر هذه الالفاظ من ذلك على ان منها ما لا يخلو من سبق قلم وقد يكون بعضهُ من خطأ النساخ . ولا بأس ان نورد لك بعض هذه الالفاظ مع الكلام على كلٍّ منها وبيان ما فيهِ زيادةً في التبصرة والله وليّ الهداية

(ستأتي البقية)

البخت

قرأنا في احدى المجلات الانكليزية مقالةً تحت هذا العنوان بقلم احد الكتّاب الانكليز المسترجون هولت سكولن فاحببنا نقلها الى العربية لما فيها من الآرآء السديدة في هذا المعنى الذي يشغل افكار الجمهور في كل حين قال

نجد كثيرين من الناس يتشكون من بختهم فكلما صادفوا امراً معاكساً لرغائبهم ومخالفاً لامانيهم تململوا وقالوا « نحن سيئو البخت » ونرى غيرهم ممن تختلف طوالعهم بين فوزٍ واخفاق فلا نكاد نجدهم

يتذمرون من سوء بختهم او يغبطون انفسهم بسعد طالعهم . ولكن السواد الاعظم من الفريقين اي من ذوي البخت الحسن والبخت السيئ ليس لهم ان يلقوا على البخت تبعة اعمالهم لان سر نجاحهم او سر تأخرهم انما هو في استعدادهم الشخصي لا في طوالعهم ولنا على ذلك شواهد عديدة يثبت فيها بعد الفحص ان طالعهم حسناً كان او سيئاً ليس الاّ نتيجة افعالهم وليس فيهِ ما يترتب على البخت الحقيقي . ففي اخفاق بعض المساعي مثلاً يجب ان يُنظَر الى عامّة احوال الشخص خطيرةً كانت في نفسها او مما لا يُعتَدّ بهِ في بادي الرأي كالمحافظة على المواعيد والاهتمام بالمسائل الطفيفة التي قد لا يخطر على بال سيئ البخت ان لها اثراً في احوالهِ فانهُ كثيراً ما يتوقف على هذه الامور الزهيدة نجاح الانسان وتوفيقهُ ولو انها لا تؤثر في بعض الاحوال تأثيراً جوهرياً غير انها تكون كعُصافة الزرع التي تدل بتحركها على جهة هبوب النسيم

ويغلب ان يكون سر البخت السيئ عصفةً فكرية تقضي بانجاز عمل من الاعمال عن غير تروٍّ ولعلهُ لا يوجد فارقٌ يفرق بين حسني البخت وسيئيهِ سوى سجيّة التأنّي . وليس القصد من التأني البطء او البلادة في تمييز الاعمال المهمة التي يجب ان تُنجَز في احوال معينة بل الغرض منهُ عدم التسرُّع في فحص الاعمال وانجازها لئلاّ تهمَل بعض النقط الجوهرية فيها . فاني اعرف اناساً خدمهم التوفيق في اهم احوالهم وكنت الاحظ انهم سواءٌ قالوا او فعلوا كانوا يتأنون في الاحوال التي اعتاد الذين يشكون عدم التوفيق ان يتسرعوا فيها فيعجزون عن ان ينجزوا

العمل كما يجب انجازهُ واخيراً يقولون « هذا بختنا »

فما تقدم يتضح غلط الناس في انهم احيـاناً كثيرة يعزون الى البخت من حسن النتائج او ردآءتها ما يكون في الحقيقة مترتباً على نوع تصرُّفهم فيكون حسناً اذا احسنوا تدبُّر ما يرومون صنعهُ والعناية باتمامه وسيئاً اذا اسآءوا التصرف في الامرين

اذا تقرر هذا فلنعد الى البحث فيما كنا في صددهِ وهو اثبات وجود البخت او عدمهِ فان من الناس من يزعم انهُ لا يوجد شيءٌ يسمى بختاً وان حالة الانسان مهما كانت انما تتوقف على فعلهِ الشخصي . ولكن هذا الزعم تطرُّف فاني اعتقد انهُ يوجد بخت حسن وبخت سيء وكلاهما يطرآن على الانسان على وجهٍ غير معيَّن ولا مؤكد ولكنهما يختلفان تمام الاختلاف عن نوعي البخت اللذين تقدم ذكرهما وذهبنا الى ان سرهما يرجع الى نوع تصرف الانسان . وذلك انهُ قد يكون لبعض الناس عقلٌ سامٍ ورأيٌ سديد وهمة عالية تتغلب على بختهِ فتكون علة سعادتهِ وقلما تجد بين امثال هذا الشخص من يتغلب عليهِ البخت السيء ويقف في طريق نجاحهِ ولكنهُ على الغالب يكون موفقاً ويكون علة ذلك ما ذكر من حسن استعدادهِ . وكذلك تجد من الناس من يكون ذا عيوب ونقائص وضعف في عقلهِ واستعدادهِ وقد يكون حسن البخت ولكنهُ مع ذلك تسوء حالهُ ولا تكاد تجد من امثالهِ من يتغلَّب حسن بختهِ على ما فيهِ من نقص الاستعداد بل الغالب في من كان كذلك ان يصيبهُ الحرمان والاخفاق

فالبخت موجود فعلاً وحياة كل فرد مكتنفة باحوال خارجة عن حكم ارادتهِ وسياستهِ وبعيدة عن مرمى بصيرتهِ . ولكن ليست هذه الاحوال موفورة ومتغلبة الى الحد الذي يتوهمهُ بعض الناس ممن عدموا قوة التميز والاستبصار وفقدوا القوة اللازمة للتسلط على هذه الاحـوال الخارجية التي هي مصدر البخت . واذا انكرنا وجود البخت بهذا الحدّ لزم ان نسلم بان الطوارئ التي تطرأُ علينا وهي خارجة من تحت حكم ارادتنا وبعيدة عن مرمى بصائرنا تطرأ على جميع الناس بالتساوي وهـذا القول ينافي الواقع ويناقض ما نراهُ من تخالف الناس في احوال حياتهم واساليب معايشهم . ولذلك لا نجد لنا بدًّا من التسليم بان البخت موجود فعلاً حسناً ورديئاً وانهُ يطرأ على كل واحـد منا ولكن على مقادير متفاوتة بحيث لا ندري لهُ قياساً ولا نعلم كيف نتوقعهُ او نتوقاهُ . على ان البخت بهذا المعنى يختلف تمام الاختلاف عنهُ بالمعنى المتعارَف بين الجمهور وهو البخت الذي بعضهُ خُرافيٌّ وبعضهُ ملتبس بالنتائج المترتبة على نوع استعداد الانسان وصفاتهِ الشخصية

ولا يخفى اننا مع تعرضنا كل حين للطوارئ المختلفة يستحيل علينا ان نعلم ايها يكون بختاً حسناً وايها يكون بختاً رديئاً . فاذا ورث زيدٌ مثلاً من قريبٍ مجهول ثروةً كبيرةً نحسب هذه الحالة بختاً ولكن لا نعلم هل هو لهُ بخت حسن او سيّئ لاننا نجهل ماذا يكون تأثير هذه الثروة على حياتهِ . وكذلك اذا اصيب احد الناس بمصيبة او جرح او أُعدي بمرض او قُتل في حال عدم تعرضهِ للقتـل كان ذلك بختاً لانهُ جآءهُ من جانب

الغيب ولم يترتب على شيء من سعيهِ وعملهِ ولكن لا ندري ايُّ نوعٍ من البخت هو احسنٌ ام سيٌّ . وليتأتى لنا الحكم في ذلك ينبغي ان نعرف كيف تكون حالة الانسان فيما لو طرأ عليهِ هذا الحادث وحالتهُ فيما لو لم يطرأ عليهِ ثم نحكم اي الحالتين افضل لهُ . فقد تكون حادثة قتلهِ مثلاً بختاً حسناً لهُ اذ تخلصهُ من حياةٍ يقضيها بالشقآء والعذاب في عشرة امرأة سليطة شريرة او في حالةٍ من الفقر والعنآء يموت لاجلها كل يوم مراراً

فترى مما تقدم ان تسليمنا بوجود البخت وبانهُ يطرأ على كلٍّ منَّا على غير قياس ومن حيث لا ندري لا يستلزم اننا نقدر ان نميز هل يكون بختنا حسناً او سيئاً ومن الجهالة ان ننكر وجود البخت ونزعم ان الاحوال والطوارئ الخارجة من تحت سلطتنا وعلمنا موزعة على الجميع بالتساوي كما انهُ من السخافة ان نزعم اننا خُلقنا متساوين في القوى العقلية والبدنية او ان نقول ليس خروجنا من دائرة تأثير البخت اقل احتمالاً من وقوع القرش مرةً على حرفهِ بين ملايين المرات التي يقع فيها تارةً على احد وجهيهِ وتارةً على الآخر

ومع ما يؤدي اليهِ مجمل البحث من صحة وجود البخت حسناً كان او سيئاً فليس من الحكمة ان يُتَّكل على تأثير البخت ويُستسلَم اليهِ لان طروء كل واحدٍ من نوعيهِ خفيٌّ عنَّا تمام الخفآء . ولعل الذين يبتغون بياناً واضحاً عن صحة البخت الحقيقي هم الاشخاص السيئو البخت الذين أُلمع اليهم في استهلال هذه المقالة فان كثيرين من الناس يعتقدون تمام الاعتقاد انهم قد قضي عليهم لاسباب مجهولة ان يتلقوا بختاً سيئاً . ولكن

الصحيح ما ذكرناهُ من ان معظم الحوادث التي تنسب الى سوء البخت ليست على الحقيقة في شيء من البخت بل هي نتيجة نقص في استعدادهم الفطريّ ونوع تصرفهم في مزاولة الاعمال فالاجدر بامثال هؤلآء ان ينفوا من ضمائرهم اعتقاد ان البخت السيئ مطاردهم فيسهل عليهم حينئذٍ ان يعللوا اسباب حبوطهم واخفاقهم ويتلافوها بقدر الامكان اذ الاعتقاد بسوء البخت الشخصي يثبط الهمة ويوهن العزيمة وبالتالي يفضي الى النتيجة المتوقعة من سوء البخت الحقيقي . واخيراً فان الفكر الثاقب والتدبر الحازم والعمل المحكم تقاوم الطوارئ المجهولة التي هي مصدر البخت السيئ وكثيراً ما تتغلب عليها وتنفيهِ . وعلى هذا المعنى نورد عبارةً جآءت في الحكمة الوثنية وهي هذه

« اسرع دائماً في الطريق الاقرب لانهُ هو الطريق الطبيعي واذا قلت او فعلت فليكن ما تتوخاهُ في كلا الحالين معقولاً لان الحزم اسُّ النجاح »

كذلك يقول حكمآء اليابان ومن هذا يُستدَلّ على ان هذه الامة اكثر الامم اتصافاً بصفة الاعتماد على الفكر الثاقب والعمل السديد واعتقاد ان القوة المجهولة التي تفعل فعلها هي من ورآء الاشيآء التي تحت سلطة الانسان . وفي الوقت نفسهِ لا يعلّق اليابانيون عملاً على البخت اذ البخت الحقيقي حسناً كان او سيئاً لا بد ان يصادف هؤلآء القوم ويطوف على كل افرادهم كما يطوف على كل واحد من افراد البشر

نقولا الحداد